

إضاءات نقدية (فصلية محكمة)

السنة الأولى - العدد الأول - ربيع ١٣٩٠ ش / آذار ٢٠١١ م

الكلاسيكية الجديدة ومضامينها التجديدية المشتركة بين الأدبين الفارسي والعربي الحديثين مع العناية الخاصة بأحمد شوقي ومحمد تقى بهار

صادق خورشنا*

مريم عزيز خانى**

الملخص

التجديد هو اهتمام الشاعر بذكر روح شواهد العصر وفهمها ذاتيا ووجدانيا، وينبغي على كل شاعر وفنان أن يصرف جهده لتفهّم روح عصره والتعبير عنه. إن الكلاسيكيين الجدد إضافة إلى كونهم مقلّدين، قد وطدوا أقدامهم فى سبيل التجديد الشعرى، فقوم المدرسة الكلاسيكية الجديدة يكون تقليدا فى الشكل أو الإطار، وتجديدا فى المحتوى أو المضمون. هذه المقالة تبحث عن المضامين التجديدية المشتركة فى أشعار النيوكلاسيكيين استنادا الى أشعار ممثلين بلامنازع لهذين المذهبيين، أى: أحمد شوقى، فى الأدب العربى ومحمد تقى بهار، فى الأدب الفارسى.

وجدنا فى الدراسات الموجودة بين هذين المذهبين اشتراكات كثيرة فى المضامين الشعرية الجديدة، وهذا الأمر يحكى عن وجود التشابهات الثقافية والاجتماعية والسياسية بين الفرس والعرب.

الكلمات الدليلية: التجديد، المضامين، الكلاسيكية الجديدة، شوقى، بهار.

**. أستاذ مساعد بجامعة العلامة الطباطبائي.

**. خريجة جامعة آزاد الإسلامية فى كرج.

المقدمة

الكلاسيكية الجديدة بمعناها العام تطلق على إحياء الأدب الكلاسيكي، وأصحاب هذه المدرسة هم الذين قد نظروا إلى الأدب الكلاسيكي نظرة عميقة ودقيقة، واستفادوا من معانيه وأساليبه القيمة لكتابة آثارهم، كما رأوها من الآثار الموجودة في العصور الكلاسيكية.

إنّ الكلاسيكيين الجدد إضافة إلى كونهم مُقلِّدين، قد وطدوا أقدامهم في سبيل التجديد الشعري ولهذا من الضروري أن نشير إلى مظاهر التجديد في أشعارهم كميزة أساسية في أشعار النيوكلاسيكيين. فقوام المذهب الكلاسيكي الجديد يكون تقليدا في الشكل أو الإطار وتجديدا في المحتوى أو المضمون. والواضح أنّ الانضمام بالتقليد أبدا لا ينافي الانضمام إلى التجديد.

والتجديد هو اهتمام الشاعر بذكر روح شواهد العصر وفهمها فهما ذاتيا ووجدانيا، وينبغي على كل شاعر وفنان أن يصرف جهده لتفهّم روح عصره والتعبير عنه. فيمكن القول أنّ التجديد لا يقطع الصلة نهائيا بالقديم عند هؤلاء الشعراء؛ بعبارة أخرى لم يكن للتجديد أن يتولد بدون القديم، ولم يقدّم أحد بدعوة تجديد يعتد بها قبل أن يدرس الأدب القديم ويتعمق فيه ويتمكن منه، ليوثق الصلة بينه وبين جمهوره من ناحية، ثم ليتسنى له الوقوف على ما يستحق الإبقاء عليه من قيم قديمة، وتجديد ما بلى من تلك القيم، استجابة إلى الحاجات الملحة الحاضرة، فإذن نستطيع أن نقول أنّ النيوكلاسيكيين جددوا في إطار القديم. (غنيمي هلال، ١٩٥٣م: ٤٢)

وأما الآن فنحن بصدد أن نذكر بعض هذه المضامين التجديدية في أشعار النيوكلاسيكيين استنادا بأشعار مندويين بلامنازع لهاتين المدرستين، أي أحمد شوقي في الأدب العربي المعاصر، ومحمد تقى بهار في الأدب الفارسي المعاصر. فالاشتراكات الثقافية والاجتماعية والسياسية والأدبية الكثيرة بين الأدبين الفارسي والعربي الحديثين، دفعنا إلى دراسة المضامين المشتركة في المدرسة الكلاسيكية الجديدة في هذين الأدبين. وأما الأشعار التجديدية في دواوين هؤلاء الشعراء فهي تدور غالبا حول ذكر المواضيع

السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والدينية، والأخلاقية، و...إلخ.

الأشعار الاجتماعية

الشعر الاجتماعي هو الذي يعرض لوصف حالة عامة في المجتمع ويبين أدواءها ويدعو إلى إصلاحها، فهو شقيق النثر الاجتماعي. وقد راج هذا اللون الشعري في العصر الحديث، تحت تأثير تفسى الحضارة الأوروبية والمدنية الحديثة في البلاد المصرية والإيرانية وغيرها من بلاد الشرق، وتناول هذا الغرض: تعاليم السفور، الحجاب، ومشاكل التعليم، وحركات العمال، ويتصل به وصف الأحداث الاجتماعية الهامة والظواهر الجديدة في المجتمع.

ويمكن اعتبار هذا الغرض جديداً في تسميته على الشعر العربي والفارسي المعاصرين، ذلك لأن الاهتمام بجماهير الشعب عامة والعمل على إصلاح أحوالهم؛ يمكن اعتباره ثمرة من ثمرات العصر الحديث، ولذلك لم يكن من الطبيعي أن يظهر هذا الغرض في القديم ويمكن القول إن هذا الغرض يعتبر جديداً في تسميته، وليس في جوهره، ويتصل بهذا الشعر الاجتماعي ما تحدّث به الشعراء الكلاسيكيون الجدد عن مشكلة المرأة وموقفهم من سفورها أو حجابها وتمسّكها بالتقاليد الإسلامية أو خروجها عليها، كما تتصل به أيضاً معالجة مشكلة التعليم واللغة إلى جانب الشعر الذي يحض على التمسك بالأخلاق الفاضلة من بر الوالدين والعطف على الفقراء وما شاكل ذلك. (طه بدر، ١٩٩١م:

٢٢٠)

والذي لاشكّ فيه أنّ الأديب لا يكتب أدبه لنفسه، وإنما يكتب لكلّ أحداثه ومشاكله وقضاياها.

وأسهم الشعراء والأدباء من الفرس والعرب خاصة في المدرسة الكلاسيكية الجديدة، في الحثّ على ذلك لعلاج مشكلات الشعب الاجتماعية، وأخذوا يثوبون إلى أنفسهم؛ بل أخذوا يستكشفونه من جديد استكشافاً، وأنشدوا أشعاراً قيمة في هذا المجال.

وأحمد شوقي أيضا عاش في مثل هذا المجتمع؛ فالوظيفة الاجتماعية لشعره ظلت هي المسيطرة على المفهوم الكلاسيكي الجديد كما كانت من قبل، وهو يعالج في أشعاره الاجتماعية كثيرا من القضايا، كالتعليم والتربية، و المرأة، موضوع العمّال، والفقر والغنى، و...إلخ.

كان الوضع في مجال التجديد والإبداع لدى الكلاسيكيين الجدد في الأدب الفارسي في هذا العهد، يشبه الوضع في الأدب العربي الحديث؛ في الواقع اجتهد هؤلاء الشعراء كزملائهم من العرب؛ في جانب المحافظة على سنن القديم، لإدخال مطالباتهم السياسية والاجتماعية في القوالب الشعرية المختلفة، ومن هنا نرى في دواوينهم الغزليات السياسية التي أدخلوا فيها كثيرا من المضامين كالوطن، والبرلمان، والحرية، والشعب، والظلم، والعدل و...إلخ. ومنها من المضامين الأخرى مع إدخال الاستعارات بالخال، والشفة، والحببية، والوصال، والهجران، والشمع، الوردة، والبلبل. (ناتل خانلري، ١٣٦٩ش، ج ٢: ٢٧١)

كما نرى في ديوان بهار وزملائه من النيوكلاسيكيين أشعارا قبلت تقليدا من أساليب الأقدمين؛ ولكنهم سعوا في إطار الأساليب القديمة أن يوفوا بحوائج مجتمعهم الجديدة. إن بهار وزملاءه كأحمد شوقي وزملائه، يحترمون احتراما بالغا بالتقليد من قدامئهم وفي هذه الحالة كانوا يعتقدون بالتجديد والإبداع في الأدب.

في الحقيقة بهار في أشعاره، من جانب يحافظ في جميع الأحوال على السنن والأساليب القديمة، ومن جانب آخر لم يكن بغافل عن التطورات ومقتضيات الزمن، إنه يتكلم بالأسلوب القديم، لكن يريد أن يتواطأ هذه الأساليب بأساليب جديدة في الشعر. (عابدي، ١٣٧٦ش: ١٣٢)

وعقيدة بهار حول شعره قابلة للاستماع؛ فهو من جانب يرى نفسه من أهل التقليد ومن جانب آخر يرى نفسه أهل التجديد. وهو من ناحية التجديد في الأدب يرى نفسه من الأولين، فهو يشير في أشعاره إلى هذا الموضوع ويقول:

نوترين سبكي كه در دست شماست بار اول از خيال بنده خاست

بود در طرز كهن نقصى عظيم رفع كردم نقص اسلوب قديم
سبك ها در طبع من تركيب يافت تا كه طرزى مستقل ترتيب يافت

(بهار، ١٣٤٤ش، ج ٢: ١٠٣١)

المرأة

من القضايا الاجتماعية التى عالجهما النيوكلاسيكيون؛ هى مسألة المرأة وحرّيتها فى المجتمع وحقوقها الاجتماعية والسياسية التى شغلت أفكار الشعراء النيوكلاسيكيين.

المرأة العربية كانت فى الماضى تعيش بعيدة عن الحرية وراء الحجب، كما كانت المرأة الإيرانية، حيث لم يكن لها دور أساسى فى المجتمع؛ لكن اليوم بتغيير رأى الأدباء والشعراء والسياسيين أصبحت المرأة مهتمة بها ومؤثرة فى المجتمع.

فقال شوقى أشعارا كثيرة حول أهمية تعلم النساء وأيضا بين خطر الأمية، فى عصر النور الذى إذا حجبناه عن نساءنا، نشأ الأولاد وهم جيل المستقبل، وأمل الغد المشرق، فى جهالة عمياء. فيقول فى هذا المضمارة:

وإذا النساء نشأن فى أمية وضع الرجال جهالة وخُمولا

(المصدر نفسه، ج: ١: ١٣٠)

فعمقيدته الأساسية هى أنّ للمرأة حق الظهور على مسرح المجتمع من غير تقنّع، فإن لم تكن التربية الصالحة معقل الفتاة الحصين كان الجهل لها سجنًا. (الفاخورى، ١٣٨٠ش:

٩٩٦)

ومسألة المرأة أيضا قد انعكست انعكاسا وسيعا فى أشعار النيوكلاسيكيين فى الأدب الفارسى المعاصر، خاصة فى عهد الثورة الدستورية، وتعتبر من المواضيع الأساسية للمدرسة الكلاسيكية الجديدة.

كانت المرأة الإيرانية فى أوائل القرن العشرين مثلها فى ذلك مثل المرأة فى جميع أمصار الشرق، تعيش محرومة من حقها فى التعلّم والمشاركة فى بناء مجتمعتها. ولكن النظرة إليها بدأت تتغير تدريجيا ووجد من طالبوا بإنصاف المرأة ومساواتها بالرجل،

وذلك نتيجة لانفتاح إيران على الغرب وإرسال عديد من البعثات التعليمية إلى أوروبا، وإطلاع أعضاء هذه البعثات على مشاركة المرأة الأوروبية في الحياة العامة، ثم انتقلت هذه الظاهرة إلى إيران وسائر أقطار الشرق، ومن الشعراء الذين عنوا بالدعوة لتحرير المرأة: أديب الممالك فراهاني، محمد تقى بهار، و... إلخ.

يعتقد بهار، كشوقى أن المرأة تحتاج إلى التعلّم أكثر من حاجتها إلى التعصب، ويقول إن تعليم النساء لا يتعارض الحجاب إذ ينشد في هذا المضمار:

سوى علم وهنر بشتاب وكن شكر كه در اين دوره والاى اى زن
بكار علم وعفت كوش امروز كه مام مردم فرداى اى زن

(بهار، ١٣٤٤ش، ج ١: ٤٤٤)

العلم والاختراعات

ومن مظاهر التجديد فى أشعار الكلاسيكيين الجدد تشجيعهم على التعلّم ومعرفة المظاهر الجديدة الغربية. قد أشار ملك الشعراء بهار، وأحمد شوقى، والنيوكلاسيكيون الآخرون فى الأدبين الفارسى والعربى المعاصرين فى أشعارهم الاجتماعية إلى هذا الموضوع الهامّ أى أهمية التعلّم.

ونظم شوقى قصائد ترغيباً للسعى فى طلب العلم، خصصها لهذا الغرض، وسماها بالأدعية (كدعاء الصباح، ودعاء النوم) ووضع إلى جانبها أناشيد وطنية ومدرسية، خصّها برشاقة الأوزان، وعذوبة الألفاظ، وحجال الإيقاع الموسيقى المطرب. (الحّر، ١٩٩٢م: ٢٠٤)

وهو يعتقد أنّ العلم يكون سبيل الوحيد لتقدم الحضارة والناس:

العلمُ فى سُبُلِ الحضارةِ والعُلا حَادٍ لِكُلِّ جَمَاعَةٍ وَزَمَانٍ

(شوقى، ١٩٣٣م، ج ٢: ١١٢٦)

والأمية الكبرى تعبير جديد، وصف به شوقى حياة أنصاف المتعلمين أو أنصاف

الجهال، ويقول:

تتحطمُ الأُميَّةُ الكبرى على عرصاته وتمزقُ الأوهام

(مبارك، ١٩٨٨م: ٢٨٠)

حاول شوقي تربية الأطفال وتهذيبهم، بنظمه قصصا لهم على طريقة لافونتين. (طه بدر، ١٩٩١م: ٢٢٤) فهو يهتم بتربية وتعليم الأطفال، ويقول خطابا للتلاميذ:

فَعَلِمَ ما اسْتَطَعَتْ لَعَلَّ جِيلا سَيَأْتِي يُحَدِّثُ العَجَبَ العُجَبا

(شوقي، ١٩٣٣م، ج ٢: ٢٠١)

وأیضا هو يحترم المعلم كثيرا، ويربط بين المعلم وبين النبي في تقاربهما في تعليم الحقيقة للناس، ويعتقد أن رسالة المعلم تكاد تكون سماوية وهي أشرف عمل:

قُمَ للمعلِّمِ وَفَّه التَّبجِیلا كاد المعلِّمُ أن يكون رسولا

(المصدر نفسه: ١١١)

ولشوقي قصيدة تؤكد على ضرورة مصاحبة الكتاب وهو يعتقد أن الكتاب يكون صاحبا وفيها للإنسان، واقتطفنا من قصيدة صحبة الكتاب، الأبيات التالية:

أنا مَنْ بَدَلَ بالكُتُبِ الصَّحَبا لِمَ أَجد لِي وافيّا إِلا كُتابا
صاحبٌ إِذ عِبتَه أُولم تَعِب لیس بالواحد للصاحبِ عابا
صُحبةٌ لِمَ أَشكُّ منها رِیبة وودادٌ لِمَ یكفِّننی عتابا

(المصدر نفسه: ٦٢٧)

ومن مظاهر اهتمام شوقي بالعلم في أشعاره، وصفه الاختراعات الحديثة ففي المثل وصف الطيارة قائلا:

مُسَرِّجٌ في كلِّ حينٍ مُلجِمٌ كاملُ العُدَّةِ مرموقُ الرِّواء

(المصدر نفسه: ٦٢٧)

يقول ملك الشعراء بهار في مجال ضرورة التعلم واجتناب الجهل:

در جهل مباح و دانش اندیش كز جهل نرفت كاری از پیش
زنهار بفکر کار خود باش بیگانه چنین مباح از خویش

با داروی فکر کار خود تا توانی میکوش بمرهم دل ریش
 (بهار، ١٣٤٤ش، ج ١: ١٦٣)
 كثيراً ما يهتم بهار بتعلم الأطفال كنظيره شوقى ويركز على السنين الأولى
 من حياتهم؛ وأنشد شعرا تحت عنوان سرود زندگی، وخاطب فيه التلاميذ ومن
 أبياتها:

ما همه کودکان ایرانیم مادر خویش را نگهبانیم
 کار ما ورزش است وخواندن درس همه از تنبلی گریزانیم
 (المصدر نفسه: ٤٤٩)

ویشیر فی موضع آخر حول أهمية مصاحبة الكتاب:

هر که را با کتاب کار افتاد عمرش از شصت تا هزار افتاد
 وانکه در خلوتش کتب خوانیست خاطرش فارغ از پریشانی است
 هرکه شد با کتاب یار وندیم یاد نارد ز دوستان قدیم
 (المصدر نفسه، ج ٢: ١٢٦)

ووصف الاختراعات الحديثة فى أشعار الكلاسيكيين الجدد فى الأدب الفارسى
 يكون موضوعاً آخر من المواضيع الهامة التى اهتموا بها فى مجال مظاهر التجديد فى
 أشعارهم الاجتماعية. أنشد بهار كأحمد شوقى أشعارا فى توصيف هذه الاختراعات
 العلمية الحديثة؛ مثلاً يقول فى وصف الطيارة:

به پا وبه پر راست همچون عقاب به بالا وبه دُم راست چون ازدری
 (المصدر نفسه: ٣٢٠)

الأشعار السياسية

إن الكلاسيكيين الجدد فى الأدبين الفارسى والعربى، ما كانوا بغافلين عن الأحداث
 السياسية الموجودة فى مجتمعهم خلافا لما نرى عند الشعراء القدامى الذين كانوا منغلين
 عن المجتمع الذى كانوا مقيمين فيه. فى الواقع الأشعار السياسية إحدى مظاهر التجديد

في عصر النهضة بلغت ذروتها بيد النيوكلاسيكيين.

بشكل عام، يمتاز القرن الذي نعيش فيه من بين القرون الخمسة التي سبقته، بأنه قرن البعث والنهوض في حياة الأمة العربية والإيرانية، وهي نهضة شاملة حاولت في إصرار أن تنفض عن هذه الأمة غبار الأحداث، وتبعثها بعثا جديدا في مختلف نواحي الحياة. وقد خلقت هذه النهضة أيضا زاخرا من الأعمال الأدبية، التي أنتجتها قرائح أدباء بارزين استطاعوا أن يشقوا طريقهم إلى المجد، وأن تحلق أصداء كثير منهم في أجواء البلاد العربية والإيرانية وأن تملأ آثارهم المكتبات الكثيرة.

ونحن هنا عالجتنا موضوعين هاميين من المواضيع السياسية في أشعار النيوكلاسيكيين، وهما مكافحة الاستعمار وحب الحرية استنادا إلى أشعار أحمد شوقي ومحمد تقي بهار.

وفي مجال مكافحة الاستعمار رأينا مضامين وعقائد متشابهة عند هذين الشاعرين،

مثلا لشوقي هذه الأبيات:

خذوا بالمساواة التي قُلتُم بها فذلك أولى بالكريم المسالم
ولكن عظيم الناس من عاش صادقاً برىء سنان الرمح عف الصوارم

(شوقي، ١٩٣٣م، ج: ١، ٢٧٢)

واقطفنا هذا البيت من أشعاره الشهيرة ضد الاستعمار:

وللمستعمرين وإن لانوا قلوب كالحجارة لاترق

(المصدر نفسه، ج: ٢، ٢٢٧)

واستخدم شوقي نوعا خاصا من الشعر، وهو الشعر التمثيلي وكان ذلك على لسان

الحيوانات لبيان عقائده السياسية مثل هذه الأبيات:

قال له القرد: طلبت المملكة تكون لي وحدي بغير شركه
قال الحمار: وأنا الوزير والصدر في الدولة والمشير

(المصدر نفسه: ١٩٣)

وبهار في قصيدة يخاطب الاستعمار ويقول:

انگلیسا در جهان بیچاره ورسوا شوی

ز آسیا آواره گردی، از اروپا پاشوی

حاصل ملک فلسطین را نخورده چون یهود

خوار و سرگردان به هر جا سخره دنیا شوی

(بهار، ۱۳۴۴ش، ج ۱: ۷۵۲)

كان بهار يرى الاستعمار عاملا للفرقة والشقاوة وكان يرى غيرة الناس وشجاعتهم
العلاج الوحيد لمداواة هذه الآلام، وأنشد بهار قصيدة باسم ضد استعمار، ويثير فيها
الأحاسيس القومية في طريق مكافحة الاستعمار ومن أبياتها:

هان ای ایرانیان، ایران اندر بلاست مملکت داریوش دستخوش نیکلاست
مرکز ملک کیان در دهان ازدهاست غیرت اسلام کو؟ جنبش ملی کجاست؟

(المصدر نفسه: ۲۵۷)

وأحيانا نرى بهار، يستفيد كشوقى من التمثيل لبيان عقائده السياسية:

خرس صحرا شده همدست نهنگ دریا کشتی ما رانده است به گرداب بلا

(المصدر نفسه: ۷۹۲)

حُبُّ الحرية أيضا من الملامح السياسية الموجودة في ديوان أشعار النيوكلاسيكيين.
وهؤلاء الشعراء وصلوا في مجال مدح الحرية إلى الذروة، وكان كثير من هؤلاء الشعراء
من أشهر المادحين للحرية. وكانوا من المطالبين بالحرية المدنية والحرية الفردية والحرية
السياسية لمصر، وأيضا حرية الفكر.

وأيضا حُبُّ الحرية التي تسرَّب إلى نفس شوقى من تتقَّفُه على الغرب، والذي كانت
تقتضيه وتدعو إليه الأحوال السياسية والاجتماعية التي وُجد فيها؛ وقد أبدى شوقى حبه
للحرية في قصائده الكثيرة التي يسعى فيها إلى إنهاء الشبيبة، أو يدعو إلى استقلال

مصر. (الفاخوري، ۱۹۸۶م: ۴۵۶)

فى رأيه تُكتسب الحرية الحمراء بالقدره الممزوجة بالدم:

وللحرية الحمراء بابٌ بكل يد مضرجة يُدقُّ

(شوقى، ١٩٣٣م، ج ١: ٢٧٢)

والنيوكلاسيكيون فى الأدب الفارسى المعاصر كزملائهم من العرب، قد وطدوا فى مسير الحرية؛ وهؤلاء الشعراء بشكل عام لُقّبوا بحامدى الحرية، وكما كانوا فى مواجهة الاستعمار يطالبون بالاستقلال السياسى، فى مواجهة الاستبداد أيضا كانوا طالبوا بالحرية دون أن يتعبوا فى هذا السبيل.

وحقا صفة حامد الحرية وحامد الوطن تليق لبهار، وإنّه قد ضحى بعيشه ووراحته فى سبيل الحرية وفى كل مكان من ديوانه نراه يتحدث عن الحرية ومنها هذه الأبيات:

اى آزادى، خجسته آزادى از وصل تو روى برنگردانم

تا آنکه مرا به نزد خود خوانى يا آنکه ترا به نزد خود خوانم

(بهار، ١٣٤٤ش، ج ١: ٣٠٤)

الأشعار الوطنية

حبُّ الوطن يقابل مفهوم Nationalism الغربى، والشعر الوطنى نوع حديث فى الأدب نشأ بنشوء الانتفاضات والحركات التحريرية فى الشرق، والدعوة إلى استقلال الناس ووعيمهم، فهو شعر منطلق من الذات الفردية، منفتح على الذات الجماعية، صادق التعبير عن مظالم الشعب، وناطق بأمجاده، مجد تاريخه وناشر عقيدته وسياسته.

والنيوكلاسيكيون كانوا من كبار الشعراء الذين قد ساروا فى مسير الوطن وأنشدوا فى آلامه، ودون أى شكّ أحمد شوقى ومحمد تقى بهار، كانا ممثلين بلامنازع للمدرسة الكلاسيكية الجديدة فى الأدبين العربى والفارسى، وما كانا بغافلين عن الوطن وآلامه، بل يكونان من كبار شعراء الوطنية فى الأدبين العربى والفارسى المعاصرين.

لقد أحبَّ شوقى وطنه حبّا عظيما، وحنَّ إليه حيننا صادقا أيام كان منفيًا. وقد بلغت

عاطفته إلى نوع من تقديس الوطن:

وطنى لو شغلْتُ بالخلدِ عنه نازَعَتْنِي إليه في الخلدِ نَفْسِي
هو يخاطبُ الوطنَ الغالي، وقد مثَّلَ بأنَّ عودته إلى أرضِ الوطنِ تُشبهه تماما عودة
الشباب بعد المشيب:

يا وطني، لَقَيْتُكَ بَعْدَ يَأْسٍ كَأَنِّي قَدْ لَقَيْتُ بِكَ الشَّبَابَا

(شوقي، ١٩٣٣م، ج ١: ٥٦)

ولا ينسى مصر أيام منفاه، ويقول مخاطبا ساكني مصر:

يا ساكني مصرَ إِنَّا لَانزَالُ عَلَيَّ عهد الوفاءِ، وَإِنْ غَبْنَا، مُقِيمَا
هلا بعثتم لنا من ماءِ نهركم شيئا نبلُّ به أحشَاءَ صَادِينَا

(المصدر نفسه: ٣٤١)

ونلمحُ تعلقه الشديد بحب ما يخص بمصر من الماضي والحاضر، وكان الحس التاريخي لمصر والعروبة يقظا في وجدان شوقي بدرجة قوية، حتى لقد مضى يكرره في أكثر من لوحة شعرية، وعندما نقرأ ديوانه نحس أنه لم يترك مرحلة مما في تاريخ مصر إلا وقد وقف عندها. وحاول أن يبين عظمة مصر أمام كل ما ينزل بساحتها من كوارث، ونحس أيضا أنه لم يترك أثرا خالدا من آثار مصر العظيمة إلا وقف عندها.

والمشاعر الوطنية عند شوقي لا تكتفي بتسجيل الأحداث الجلييلة، والتواريخ الهامة، بل تسجِّل القصائد العظام، في رثاء زعماء الوطن ومدحهم والإشادة ببطولتهم ووفائهم لبلدهم. ومن الذين خصَّهم بتلك المشاعر: سعد زغلول، مصطفى كامل، محمد فريد.

ويقول في رثاء مصطفى كامل في قصيدته تحت عنوان شهيد الحق:

إِلَامَ الخُلْفِ بَيْنَكُمْ إِلَّا مَا؟ وهذِي الصُّجَّةُ الكُبْرَى عَلَامَا؟

(المصدر نفسه: ٢٢١)

ذلك هو شوقي في مشاعره الوطنية التي جمعت لديه الواقع مع الحكمة، والوطنية إلى جانب الروية، ويبقى أنه طالب خير الشعب ومصالحه.

للوطن في الأدب الفارسي المعاصر شأنٌ عظيمٌ، ولهذا نرى أن جميع الأدباء والشعراء كانوا ملتزمين بذكر القضايا المتعلقة به وهناك كثير من الشعراء الذين اشتهروا في التاريخ

بسبب هوايتهم الشديدة إلى الوطن، خاصة إذا رأوا الظروف المتأزمة في وطنهم أصبحوا ألسنة بليغة لمواطنيهم واشتدّ الحب إلى الوطن في إيران مع بداية الحركة الدستورية، وهم في ظل المعلومات الكثيرة التي كانت لديهم من التاريخ ومن ثقافة إيران خلقوا آثارا وطنية كثيرة.

من أشهر الشعراء الذين اهتموا بهذه الميزة في أشعارهم محمد تقى بهار، الذي يشكو دائما من حضور المستعمرين في إيران، ولهذا يخصص كثيرا من أشعاره إلى ذكر المواضيع الوطنية، وهذا الحب للوطن كان منبعثا من أعماق قلبه، وهذا الأمر واضح في ديوانه. وإن بهار بلغ في أشعاره ذروة الشعراء المادحين للوطن. (صبور، ١٣٨٢ش: ١٠٦)

ومما قاله بهار في قصيدة اختار لها حب الوطن عنوانا ومن أبياتها:

هر که را مهر وطن در دل نباشد کافر است

معنى حب الوطن فرموده بیغمیر است

(بهار، ١٣٤٤ش، ج: ١، ٧١٢)

وفي مكان آخر يرى الوطن كمحبوته الغريزة ويقدم الوطن في هذه الأبيات:
با رقیبان وطن از من دلخون گوید دلبرم را به شما وانگذارد دل من

(المصدر نفسه: ٥٧١)

وهو دائما يفتخر بإيرانيته، ويدعو الشعب الإيراني دائما بإصلاح الوطن، وهو كشوقي، يتذكر مجد إيران في الأزمنة الماضية ويدعو الأمة الإسلامية إلى الاتحاد ويقول هكذا:

خوش بود ار ملت اسلام نیز دست بشویند زکین وستیز
چاره ما نیست بجز اتحاد این ره رشد است ونعم الرشاد

(المصدر نفسه: ٩٥٦)

وأیضا یمدح بهار كشوقي، زعماء الوطن من الأحرار الذين بذلوا جهودهم في سبيل حرية الوطن، مثلا في مدح ستارخان وباقرخان (من المناضلين الأحرار) ينشد هكذا:

ستار خان را بادا ظفر یار تبریزیان را یزدان نگهدار

سالارشان را نیکو بود کار احرار را نیز دل باید بیدار

(المصدر نفسه، ج: ١، ١٤٤)

الأشعار الدينية والأخلاقية

إذا نظرنا إلى المعانى الموجودة فى دواوين الشعراء النيوكلاسيين نشاهد أنّ للدين والمضامين الأخلاقية قيمة عظيمة. والنيوكلاسيكيون الإيرانيون كشعراء النيوكلاسيكيين العرب، قد أنشدوا أشعارا كثيرة فى هذا المضمار. ذلك لأنّ هؤلاء الشعراء يعتقدون بأنّ الدين هو الوسيلة الوحيدة لإصلاح المجتمع الذى يؤدّى فروض التحية بالنسبة إلى الدين تأدية كثيرة، من جهة أخرى إنّ الكلاسيكيين يشاهدون الأهداف السياسية الزائفة للاستعمار، ولهذا يستفيدون من عواطف الناس الدينية للمكافحة ضد الاستعمار، ولهذا نرى كثيرا من الشعراء النيوكلاسيكيين من العرب والفرس فى هذه المرحلة من التاريخ ينشدون أشعارا دينية يذكرون فيها مظلومية الإسلام طيلة التاريخ، ويثيرون قيم الأحاسيس القومية لأعدائهم فى طريق مكافحة الاستعمار.

والمظاهر الدينية فى أشعار شوقى كثيرة، حسبنا أن نمثّل بعضها، مثل قصيدته كبار حوات فى وادى نيل، نهج البردة، إلى عرفات الله، ذكرى المولد، والهمزية النبوية ... إلخ.

أما محمد (ص)؛ فإنّ لشوقى فى مديحه، وفى الإشادة بالإسلام وخصائصه قصائد عدّة.

فهو يبدأ قصيدته الشهيرة الهمزية النبوية، معارضا البوصيرى بهذا المطلع:
وُلِدَ الْهُدَى فَالْكَائِنَاتُ ضِيَاءُ وَفَمُ الزَّمَانِ تَبَسُّمٌ وَتَنَاءُ

(شوقى، ١٩٣٣م، ج: ١، ٢١)

كما قلنا قد كان للقرآن أثر بالغ فى شعر الشعراء المعاصرين، خاصة فى أشعار شعراء مدرسة الإحياء، وقد استخدم شوقى الوصف القرآنى للرسول فى أشعاره كثيرا كلفظ الأمى، إذ قال:

يا أَيُّهَا الأُمِّي، حَسْبُكَ رُتَبَةٌ فِي العِلْمِ أَنْ دَانَتْ بِكَ العُلَمَاءُ

(المصدر نفسه: ٣٤)

وقال الله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا النَبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ وَمَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ المُؤْمِنِينَ﴾ (الأنفال: ٤٤) وأيضاً في قصائده الدينية لم يكتف بممدح النبي (ص)؛ بل تجاوزه إلى الإسلام والمسلمين. ووقد وجد شوقي داخل نفسه دوافع إلى تمجيد الإسلام وتقديس قيمته في شعره، ويجد أن الإيمان هو السبيل الوحيد لنزع التفرقة والتكبر من النفوس وهو يدعو إلى التحابب والتفاهم بين جميع الأديان على أساس كلمة التوحيد.

وإذا كان الدين محرّك الشعوب نحو التعاون والتعاقد من أجل النهضة والبناء؛ فشاعرنا يريده - أيضاً - ميلاً للتفرقة الطائفية، والتعصب المذهبي، ومقرباً للناس جميعاً في وحدانية الله سماء، وتوحيد المشاعر أرضاً. فخالق البشر لم يفرق بينهم، بل أرسل إليهم أنبياء لا يفرقون بين كتاب وآخر:

أرسلت بالتوراة موسى مُرشدًا وابن البتول فعلم الإنجيلا
وفجرت ينبوع البيان محمداً فسقى الحديث وناول التنزيلا

(شوقي، ١٩٣٣م، ج ١: ١٨١)

أما بالنسبة إلى محمد تقى بهار، كممثل حقيقي للشعر النيوكلاسيكي في الأدب الفارسي المعاصر، فنرى أنه في بداية عمره يتمتع بمواقف دينية كثيرة، ولهذا نرى كثيراً من الأشعار الدينية في مدح الرسول الأكرم (ص) والأئمة المعصومين (ع) في بداية ديوانه الشعري، لأنه بعد موت أبيه وفي التاسع عشر من عمره وصل إلى مقام ملك الشعراء في مدينة مشهد الرضا(ع)، ولا بدّ في هذا المقام أن ينشد في أي مناسبة دينية أشعاراً يشير فيها إلى المضامين الدينية والأخلاقية ويبدو في هذه الأشعار إخلاصه وشعوره الدينية، وأيضاً وظيفته في مقام ملك الشعراء. (صبور، ١٣٨٢ش: ١٠٤)

يقول بهار في مدح النبي (ص) هكذا:

شمس رسل محمد مرسل كه در ازل
از ما سوى الله آمده است ذات وى انتخاب
با مهر اوست جنت و با حب او نعيم
با قهر اوست دوزخ و با بغض اوست عذاب

(بهار، ١٣٤٤ ش، ج ١: ٦)

واستفاد بهار كشوقى من المفاهيم القرآنية لبيان عقائده الدينية:

روح تمدن به لب آيه آمن يُجيب دين محمد يتيم، کشور ايران غريب

(المصدر نفسه: ٢١٩)

وفى مكان آخر يدعو المسلمين إلى الاتحاد، وهنا كشوقى يعتقد أن الدين محرک الشعوب نحو التعاون والتعاقد ويدعو الناس إلى ازالة التفرق بينهم و بين المذاهب الأخرى:

اختلاف مذهب در اسلام روز ما را سیه کرده چون شب
عزت ما به دو چیز بسته است اتحاد اول و بعد مكتب

(المصدر نفسه: ١٤٥)

وأما الموضوعات الأخلاقية، فهي أيضا من المواضيع التي شغلت الكلاسيكيين الجدد؛ فقد بذل هؤلاء الشعراء جهودا كثيرة فى هذا المجال، وأتوا بالمواضيع الأخلاقية فى دواوينهم الشعرية.

وشوقى لا يغفل الأخلاق التي بها تصبح القوة أساس بناء العدل، لا وسيلة إنزال التعسف والظلم. ومن أجل ذلك دعا إلى مزج القوة بالتقوى والعدل والتسامح والزهد بالمادة ومتفرعاتها المبنية على التكبر والغرور، وتجنب الغيبة والنميمة والحسد. كما نهى الشباب عن إغراق أنفسهم فى الخمر والميسر والتكسع على أعتاب البطالة. ذكر هذا كله فى شعره وقرنه بالأخلاق التي هى أساس كل نهضة دائمة، ومجد مبنى على الحق.

(الحر، ١٩٩٢م: ١٤٣)

وقد جعل شوقى الأخلاق منارة للدين، وهديا للمؤمنين، وبها فوز الناس أجمعين

فيقول:

يا من له الأخلاق ما تهوى العلا منها وما يتعشق الكبراء

(شوقي، ١٩٣٣ ش، ج: ١، ٣٤)

وفي مكان آخر يرى أن صلاح الناس بأخلاقهم، ويقول:

كذا الناس بالأخلاق يبقى صلاحهم ويذهب عنهم أمرهم حين تذهب

(المصدر نفسه، ج: ١، ٤٤)

فقد أشار إلى الأخلاق في أبيات عديدة متشابهة، وكذلك إلى الإباء، والبطولة، والتضحية، و...إلخ.

مثلا من أبياته حول الصبر وتحمل الأرزاء:

للترك ساعات الصبر يوم نكبهم كتبت في صُحف الأخلاق بالذهب

(المصدر نفسه، ج: ١، ٦٠)

فهو في قصيدة في ذمّ شرب الخمر يقول:

واهجروا الخمر تطيعوا الله أو ترضوا الكتابا

(المصدر نفسه، ج: ١، ٩٥)

والأمثلة على بقية الرموز الخلقية، كثيرة لا تحصى، ولا يمكن إدخال كلها في هذه المقالة.

وأما المضامين الأخلاقية في المذهب الكلاسيكي الجديد في الأدب الفارسي، فهي أيضا من أبرز الميزات الشعرية و شغلت أذهان كثير من الشعراء، ولهذا يأتون بأمثلة كثيرة في هذا الباب ويشيرون إلى بعض الأمثلة الأخلاقية لهداية الناس إلى معيشة سعيدة. وفي هذا القسم من مقالنا نتحدث عن المضامين الأخلاقية عند النيوكلاسيكيين الفرس، استنادا إلى أشعار محمدتقي بهار.

يرى بهار كشوقي، الأخلاق ضامنا لبقاء المجتمع، ويعتقد أن الشعب الذي لا يكون له أخلاقا كالأموات:

اقوام روزگار به اخلاق زنده اند

قومی که گشت فاقد اخلاق مردنی است

(بهار، ۱۳۴۴ش، ج ۲: ۱۲۴)

وكما يرى الأخلاق أهم من العلم ويقول:

به خُلق نیک در عالم توانی زندگی کردن

که با خُلق نکو رام گردد شیر آجامی

(المصدر نفسه، ج ۱: ۴۳۸)

وأيضا يشير بهار كزميله شوقي، إلى المباحث الأخلاقية الأخرى في أشعاره، فمثلا في هذه الأبيات يدعو الناس إلى الصبر والاستقامة، - كما رأينا هذا المفهوم في أشعار شوقي- ويريد من الناس أن يصبروا في مواجهة الآلام والمشاكل صبرا كصبر أيوب النبي (ص):

صبر باید که به آلام ظفر یابی

مرد را شاید در محنت روز افزون

ور نه آلام تن مرد بسنباند

صبر آیوب نبی لختی بر خواند

(المصدر نفسه، ج ۲: ۱۰۳)

وبهار كأحمد شوقي، يحذّر الناس من شرب الخمر، ويقول في ذمّ الخمر ومفاسده

هذه الأبيات:

مخور تا توانی می اندر جوانی

که یک جرعه می در جوانی نشاند

همانا حرام است می زی گروهی

می اندر جوانی مخور تا توانی

یکی تیر در دیده زندگانی

که دارد بر آنان خرد حکمرانی

(المصدر نفسه، ج ۱: ۶۶۹)

وموجز القول إن كلا من الكلاسيكيين الجدد في الأدبين الفارسي والأدب العربي المعاصرين، اهتموا بمسألة الدين والأخلاق، وهذه الميزات تدلنا على وجود الاشتراكات في هذين الأدبين، كما يرى الدكتور رضا سيد حسيني أن هذه الميزة من الميزات الأساسية للمذهب الكلاسيكي، ويقول: «يجب أن يكون الأثر الأدبي في خدمة إرشاد

الناس نحو الشرافة والمحاسن الأخلاقية.» (سيد حسيني، ١٣٨١ش: ١٠٣) وهذه الميزة تكون واضحة في أشعار النيوكلاسيكيين كما رأينا.

النتيجة

١. في الدراسات الموجودة بين هذين المذهبين وجدنا اشتراكات كثيرة في المضامين الشعرية الجديدة، وهذا الأمر يحكى عن وجود التشابهات الثقافية والاجتماعية والسياسية بين الفرس والعرب.

٢. الكلاسيكيون الجدد من الفرس وأيضاً من العرب إضافة إلى كونهم مُقلِّدين، قد وطدوا أقدامهم في سبيل التجديد الشعري، فيمكن القول إنّ التجديد ليس مقطوع الصلة نهائياً بالتقديم عند هؤلاء الشعراء، وقوام المدرسة الكلاسيكية الجديدة يكون تقليداً في الشكل أو الإطار، وتجديداً في المحتوى أو المضمون. الأشعار التجديدية في دواوين هؤلاء الشعراء تدور غالباً حول ذكر المواضيع السياسية والاجتماعية والدينية والأخلاقية.

٣. من القضايا الاجتماعية التي عالجها النيوكلاسيكيون؛ هي مسألة المرأة وحرّيتها في المجتمع وحقوقها الاجتماعية والسياسية التي شغلت أفكار هؤلاء الشعراء. وقد أشاروا إلى ضرورة تحرير المرأة من قيود التعصب، واعتقدوا أنّ المرأة تحتاج إلى التعليم لإصلاح المجتمع.

٤. إحدى مظاهر التجديد في أشعار النيوكلاسيكيين، تشجيعهم على التعلم وضرورة احترام المعلم، وبيان أهمية مطالعة الكتاب، والاهتمام بتهذيب وتربية الأطفال، ووصف الاختراعات الحديثة، و...إلخ. فوجدنا كل هذه المواضيع عند شعراء العرب وزملائهم من الفرس.

٥. الكلاسيكيون الجدد في الأدبين الفارسي والعربي الحديثين، ما كانوا بغافلين عن الأحداث السياسية الموجودة في مجتمعاتهم، ووجدنا عندهم أشعاراً كثيرة في مجال مكافحتهم للاستعمار، وكان كثير من هؤلاء الشعراء من أشهر المادحين للحرية.

٦. النيوكلاسيكيون كانوا من كبار الشعراء الذين قد ساروا في مسير الوطن وأنشدوا في آلامه، ونرى هؤلاء الشعراء، يفتخرون دائما بأوطانهم ويذكرون أمجاده الماضية ويسجلون الأحداث الجليلة والتواريخ الهامة لأوطانهم، ويدعون الناس دائما بالاتحاد أمام المستعمرين، ويسجلون القصائد العظام في رثاء ومدح زعماء الوطن والإشادة ببطولتهم.

٧. الأشعار النيوكلاسيكية الفارسية والعربية تنطوى على أفضل الأشعار الدينية والأخلاقية، وهي تتضمن كثيرا من المعاني المأخوذة من القرآن الكريم والمفاهيم الإسلامية؛ وأيضا تتضمن أحسن المدائح حول المعصومين وأولياء الله (ع)، ومن جهة أخرى يمكن القول إن الكلاسيكيين الجدد يشاهدون الأهداف السياسية الزائفة للاستعمار، ولهذا يستفيدون من عواطف الناس الدينية للمكافحة ضد الاستعمار.

٨. الموضوعات الأخلاقية كانت من المواضيع التي شغلت الكلاسيكيين الجدد؛ فقد بذل هؤلاء الشعراء جهودا كثيرة في هذا المجال، وأتوا بالمواضيع الأخلاقية في دواوينهم الشعرية مشيرين إلى بعض الأمثلة الأخلاقية لهداية الناس إلى معيشة سعيدة وأيضا لمنعهم عن الرذائل.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

بهار، محمد تقى. ١٣٤٤ش. ديوان. چاپ دوم. تهران: توس.
الحّر، عبد المجيد. ١٤١٣ق. أحمد شوقى أمير الشعراء ونعم اللحن والغناء. الطبعة الأولى. بيروت: دار الكتب العلمية.

الدسوقى، عمر. ١٩٦٧م. فى الأدب الحديث. الطبعة السادسة. بيروت: دار الكتاب العربى.
زكى مبارك، أحمد. ١٩٨٨م. أحمد شوقى. الطبعة الثانية. بيروت: دار الجيل.
سيد حسيني، رضا. ١٣٧١ش. مكتب هاى ادبى. چاپ هشتم. تهران: نگاه.
شوقى، أحمد. ١٩٣٣م. الشوقيات. الطبعة الأولى. بيروت: دار العودة.
صبور، داريوش. ١٣٨٢ش. بركران بيكران. چاپ اول. تهران: سخن.
طه بدر، عبد المحسن. ١٩٩١م. التطور والتجديد فى الشعر المصرى الحديث. الطبعة الأولى. القاهرة:

هيئة الكتاب المصرية.

عابدي، كاميار. ١٣٧٦ش. به ياد ميهن. چاپ اول. تهران: ثالث.

غنيمي هلال، محمد. ١٩٥٣م. فضايا معاصرة في الأدب والنقد. الطبعة الثالثة. القاهرة: دار النهضة مصر.

الفاخوري، حنا. ١٩٨٦م. الجامع في تاريخ الأدب العربي. الطبعة الأولى. بيروت: دار الجليل.

الفاخوري، حنا. ١٣٧٧ش. تاريخ الأدب العربي. الطبعة الثانية. تهران: توس.

ناتل خانلري، پرويز. ١٣٦٩ش. هفتاد سخن از گوشه وكنار ادبيات فارسي. چاپ اول. تهران: توس.